

مجلة القامسية



مجلة علمية تصدرها جامعة القامسية

١٩٩٨ م

العدد الثاني

المجلد ٣

كتاب هذا العدد

- د. عبد الكاظم شندل
- د. محمد طاهر جعفر الحسيني
- د. عبد العزيز حيدر
- د. عبد علي سلمان عبد الله المالكي
- رضا عبد الجبار سلمان
- د. جعفر عبد الكاظم
- د. حمزة فاضل يوسف
- د. كامل عبد ربه
- د. عبد الكاظم محسن كاظم الياسري
- د. حسن علي عبد الله
- د. عبد حمزة محسن
- عبد الاله علي جويعد
- د. رعد عبد اللطيف صالح
- سلام هاشم حافظ
- السيد عودة مزعل ياسر الزامللي
- ناجي محمود النواب
- د. باسم نشمي جلود
- د. مازن ليلو

العلوم
الإنسانية



المحتويات

الموضوع	الصفحة
١- ضمير المتكلم أنا -دراسة في القراءات واللهجات-	
د. محمد طاهر جعفر صادق الحسني	٢٠-٥
٢- مواقف نحوية في رسالة الغفران لابي العلاء المعري	
د. عبد الكاظم محسن كاظم	٣٦-٢١
٣- التعريفات في شرح ابن عقيل	
عبد الاله علي جويعد	٥١-٣٧
٤- جدلية البناء الفني/الصوفي لرواية عبد الخالق الركابي (سابع أيام الخلق)	
د. حمزة فاضل يوسف	٦٥-٥٢
٥- طيف الخيال في شعر البحثري	
د. كامل عبد ربه	٧٨-٦٦
٦- معي -سيرة شوقي ضيف الذاتية-	
د. رعد عبد اللطيف صالح	٨٦-٧٩
٧- التنمية الريفية المتكاملة في مشروع التريمة الزراعي في محافظة القادسية بين النظرية والتطبيق	
رضا عبد الجبار سلمان	١٠٦-٨٧
٨- دراسة في طبيعة العلاقات العربية اليهودية في الانتداب	
د. عبد حمزة حسن	١١٩-١٠٧
٩- أضواء على العلاقات العراقية -المصرية ١٩٤٦-١٩٥٢ -دراسة في الموقف الرسمي-	
د. حسن علي عبد الله	١٣٧-١٢٠
١٠- معوقات عضو الهيئة التدريسية في جامعة صلاح الدين/أربيل	
عبد الكاظم شندل / عيسى أسو ابراهيم	١٦٦-١٣٨
١١- أثر القيم الحضارية في اتجاهات الخصوبة في العراق	
عبد علي سلمان عبد الله المالكي	١٨٦-١٦٧

١٢-	تقويم البرنامج التدريبي للفنيين في هيئة المعاهد الفنية	
٢٠٣-١٨٧	د. جعفر عبد الكاظم	
١٣-	العلاقة بين الاستجابات المعرفية والوجدانية والسلوكية لاتجاه المسنين نحو تقبل الآخرين	
٢١٥-٢٠٤	د. عبد العزيز حيدر	
١٤-	العلاج العقلي الانفعالي (الافتراضات والتطبيق)	
٢٣١-٢١٦	ناجي محمود النواب	
١٥-	دوافع تعاطي الشباب للكحول من منظور الطلبة الجامعيين - دراسة استطلاعية -	
٢٤٨-٢٣٢	المسيد سلام هاشم حافظ	
١٦-	نظام الامبودسمان او المفوض البرلماني -ضمانة لحقوق الافراد وحرياتهم-	
٢٦٤-٢٤٩	د. مازن ليلو راضي	



طيف الخيال في شعر البحتري

الدكتور: كامل عبد ربه
جامعة القادسية/كلية التربية

توافي مع الليل مستوطناً

وتأبى مع الصبح إلا ذليلاً

خيال يخيّل لي نيلها

ولو قدرت لم تخيّل نوالاً^(١)

وقال الشريف المرتضى (وما زالت

الشعراء تصف الناحل بأنه خيال لا يحس ولا

يدرك ولا يعلم)^(٢)، ثم ذهب في أماليه إلى القول

(وقد قال الناس في الطيف والخيال فأكثروا، وقد

سبق في ذلك قيس بن الخطيم إلى معنى كل

الناس فيه عيال عليه وهو قوله:

أني مريب وكُنْ غير سروب

وتقرب الاحلام غير مريب^(٣)

وتكاد الاحكام النقدية القديمة لا تختلف في

تفسيرها الموضوعي للوحة الطيف.^(٤) كما يبدو

- ايضاً - ان النقاد المحدثين لم يولوا هذا الضرب

من الافتتاح اهتمامهم الفني^(٥)، وذلك لما يبدو فيه

من تداخل مع لوحة المرأة فهو أكثر انشداداً

بالعلاقة النفسية مع المرأة (الحبيبة) التي بعدت

عن ديارها ومن ثم يكون تفسيرها الرمزي عندنا

يشابه دلالتهما على استنصار زمن مضى.

فالشاعر عندما يصرخ بأن فكرة الطيف قد

انبثقت من الخيال يومئ بشكل خفي إلى تعامله

الابداعي مع رمز المرأة لذا طوعها لاداء وظيفة

فنية فقد استوعبت مجمل تجاربه الشعرية وان

لقد حظي افتتاح القصيدة الجاهلية باهتمام

الدارسين قديماً وحديثاً فحكم بعضهم من خلاله

على البنية الفكرية والفنية لها، واتفق الباحثون

على تسمية الادوات الفنية لمكونات هذا الافتتاح

(الطلل، النسيب، الظعن، الحوار، الحكمه، وطيف

الخيال، مطالع اخرى)، بيد انهم اختلفوا في

تفسيره فالنمط الشعري الجاهلي خضع لاسس

فنية موحدة^(٦)، الا ان طريقة التعامل مع تلك

المكونات تبقى متناظرة مع المستوى الابداعي

لتجربة الشاعر في تهيئة المستلزمات الفنية

الملائمة لنمو الحدث الموضوعي ومناخه النفسي

المطلوب.

وطيف الخيال واحد من افتتاحات القصيدة

الجاهلية فصورة المرأة لم تقتصر على لوحة

النسيب بل ظلت ميداناً خصباً لخيال الشعراء

الذين تفتنوا في وصفها وسبل اللقاء بها وحزنوا

على بيتها ورحيلها فكان لهم ان يلتقوا بها في

عالم الوهم ليخففوا من ألم الفراق وشدة الوجد،

فتخيّلوا زيارتها في الطيف ليلاً، ويؤيد الموروث

الشعري الجاهلي بأن هذا النمط من الافتتاح قديم

الزمن فقد قيل لن عمروا بن قميئة اول من

وصف الطيف في ابيات افتتح بها احدى قصائده:

نأتك أمامة إلا سؤالا

وإلا خيالاً يوافي خيالاً



تعددت موضوعاتها، فلوحة الطيف قد استوعبت
الآلام النفسي العميق الذي وافق الشاعر في حياته
اليومية فلا مفر منه حتى في ساعات الخلود الى
الراحة والنوم. وقد استمر التقليد الفني للقصاصند
الجاهلية في العصور التي تلت العصر الجاهلي
واستمر الخلاف بين العلماء النقاد حول هذا التقليد
ومحاولة الشعراء المحدثين الخروج على هذا
التقليد استجابة لمتطلبات ثقافة عصرهم، وكثيراً
ما حدثت الخصومات بين انصار الشعراء في
التزامهم بالمنهج الفني القديم او الخروج عليه
ولعل ابرز ما يمكن ذكره هو مدار من خلاف
وخصومات حول شعر شاعرنا البحتري والشاعر
ابي تمام وكان من نتائج هذا الصراع بين القديم
والجديد ان خلف لنا كتباً كثيرة في هذا المجال
شكلت في غالبيتها اسس الحركة النقدية القديمة
عند العرب. والبحري واحد من ثلاثة شعراء
رزقوا شهرة واسعة في الادب العربي وهم ابو
تمام والبحري والمتنبي ومضى العلماء يوازنون
بينهم ويقنمون بعضهم على بعض ويجتهدون في
تعرف خصائصهم ومميزات فنهم وقد ترك لنا
البحتري ديواناً ضخماً وكتب عنه الكثيرون
ولاغرو فهو احد كبار شعراء القرن الثالث
الهجري كما تيسر له ان يكون شاعر البلاط
العباسي حقبة من الزمن لم تتيسر لشاعر اخر،
ومنذ زمن قرأت ديوان هذا الشاعر وقرأت ما
كتب عنه في بعض المظان فاثار انتباهي ولعه
بذكر الطيف فحاولت في هذا البحث المتواضع ان
اكتب عن تلك الظاهرة التي تتردد في شعره
بكثرة ولعلنا لا نكون مغاليين اذا قلنا ان البحتري

من اكثر الشعراء ان لم يكن اكثرهم ذكراً للطيف
ولوعاً به وغراماً بالتحدث عنه وقد يكون السبب
وراء ذلك هو حب الشاعر لعلوة الذي سيتكفل
البحث بالكشف عنه، ثم بعده عنها فهي بحلب
وهو كثيراً ما يشرق ويغرب فيكون بعيداً عنها
فلا عجب اذا ان كانت تزوره بطيفها اذا جن
الليل، وعقدت اجفانه ايدي الكرى فيصبح وقد
تملكه وجدان قوي وعاطفة تائرة فينظم ماراه
شعراً فذكر للطيف والولوع به نتيجة طبيعية
للحب والبعد عن الحبيب فيقوم الطيف مقام
الحقيقة وينوب نزاور الخيال مناب النزاور في
العيان^(٧) ومن خلال الجرد الاحصائي الذي قمنا
به لشعره فقد طالعنا ديوانه المجموع المحقق
بأجزائه الاربعة بثمانمائة واثنين وثلاثين قصيده
مجموع ابائتها ثمانية عشر الفا ومائة وخمسة
عشر بيتاً من الشعر فضلاً عن مائة وثلاث
وعشرين مقطوعة مجموع ابائتها مائتان وستة
واربعون بيتاً من الشعر توزعت على مختلف
الاغراض الشعرية واستطاع البحتري بشاعريته
الفذة ان يستخرج من الاغراض الرائع من
عطائها الفني حين وصف ورثي وتغزل ومدح
وافتر وأستكنه الحياة حين نظم في السياسة
والهجاء وذلك على اختلاف درجة التألف بين
شعره في تلك الاغراض وعلى الرغم من ان
المدح يشغل حيزاً ضخماً من ديوان الشاعر
لاسباب اجتماعية لا مجال لذكرها هنا الا ان
الموضوعات التي بلغت شاعرية الشاعر ذروة
النضج والتألق فيها هي الوصف والعتاب والغزل
وطيف الخيال موضوع بحثنا، وتلك الموضوعات

وثيقة الصلة بينيوع رقة الوليد ورهافة مشاعره وانفساح خياله، والمديح أهم موضوع استنفذ شعر البحري فقد عاش الرجل يمدح الخلفاء العباسيين من المتوكل الى المعتضد ووزراءهم وولاتهم وقوادهم وكتائبهم وكأنما وقف نفسه على الاشادة بالدولة ورجالاتها حتى عد الشاعر الرسمي لها وكل شئ يشهد بأن الشعر لا يستصعب على البحري فقد كان يتدفق على لسانه تدفقاً ولم يكن يتعمق هذا اللون من الشعر تعمقاً من شأنه ان يبعده عن الذوق القديم حتى قال النقاد القدامى انه حافظ على عمود الشعر العربي^(٨)، كما ضم ديوانه اهاجي مختلفه ترجع اما الى حرمانه من جائزه واما الى كفران صنيعه عند بعض معاصريه واما الى منافسة بينه وبين الشعراء وخاصة من كان منهم يتعرض لشعره بالذم والنقد اللاذع وقد لاحظ هذا الاصفهاني في ترجمته للشاعر فقال ان بضاعته من هذا الفن قليلة.... وان اكثر هجائه ساقط غث الالفاظ ركيك لا يشاكل طبعه ولا يليق بمذهبه^(٩) وكذلك الحال بالنسبة لفخره فهو يفتخر في بعض قصائده بألة وعشيرته يحمر وقبيلته طئ ناعنا لهم بالكرم والشجاعة والقيم العربية الاخرى، اما الرثاء فله قصائد فيه لعل من ابرزها مرثيته للمتوكل التي اعلنها صرخة مدوية على قاتليه وقد استهلها بوصف قصر الجعفري الذي قتل فيه الخليفة ثم صور فزع سيداته الجميلات حين علمن بالخبر الفاجع ثم يصف القتل والقتله وصفاً مؤثراً لانه كان حاضراً ساعة مقتل الخليفة وقد نجا الشاعر بعد اصابته^(١٠)، فضلاً عن مرثية رائعة يرثي بها

طائفة من بني حميد الطوسي خروا صرعى في ميادين الثغور دفاعاً عن العرين العربي^(١١)، كما كانت لدى البحري قدرة بارعة في وصف مظاهر العمران فقد استوعب معالم الحياة من حوله في اوصافه فوصف القصور العامرة والخربة ووصف الخيل المطهمة المنتصرة ولقاء الاقدار المتصارعة بين الاسد والذئب وبين الانسان وتحول الشاعر الى ذوب من الرقة وفيض من العذوبة الشفافة حينما وصف الطبيعة وهي غرام نفسه وتوأم روحه حتى قال عنه ابن المعتز (لو لم يكن للبحري الا قصيدته السينية في وصف ايوان كسرى فليس للعرب سينية مثلاً وقصيدته في البركة.... ووصف حرب المراكب في البحر لكان اشعر الناس في زمانه، فكيف اذا اضيف الى هذا صفاء روحه وروقة تشبيهه)^(١٢)، كما ذكر الصولي ان المتوكل كافاً البحري على وصفه للبركة بما في الخزائن من ماء الورد العتيق^(١٣)، ولعل كل ما قيل على وصف بصور شاعريته الرائعة وكيف استطاع ان يتلاقى بملاكماته الحفية القصور في ثقافة عصره الحديثه فاذا هو يملك من ادوات التعبير ما يستحيل به شعره الى انغام والحن خاصة.

اما غزله فقد كان من ابرز الموضوعات التي اشتهر به الشاعر ولعل ولوعه بعلوة وذكرها التي لا تبارحه وطبيعة البيئة الجميلة التي نشأ وترعرع فيها كان وراء ذلك. وقد امتزج غزله بالطيف امتزاجاً واضحاً صدر به اغلب قصائده المدح التي نظمها ومن المرجح ان يكون هذا الغزل الممتزج بالطيف غزلاً صادراً من قلبه لا

غزلاً تقليدياً على الرغم من اتخاذ بعض منه مقدمات لقصائده نزولاً على تقاليد الشعر انذاك.

لقد افتتح البحترى مائة واحدى عشرة قصيدة من قصائده بطيف الخيال، منها مائة وثمان قصائد في المديح^(١٤)، اما الثلاثة المتبقية فواحدة في الفخر^(١٥) والثانية في العتاب^(١٦)، والثالثة في الهجاء^(١٧)، حيث شكل هذا الافتتاح ظاهرة ملفتة للنظر في شعر البحترى ذلك ان من عادة الشعراء ان يأتون بالطيف مرة واحدة يفتتحون به بعض قصائدهم او يعمدون احياناً الى بثه في أجزاء القصيدة لحاجة فنية تتطلبها عملية الابداع الشعري والوحدة الموضوعية في القصيدة بينما نجد البحترى مغرماً بالخيال حتى عدّ شاعر الخيال كما قيل طيف البحترى^(١٨).

ولنا - الان - ان نستجلي بنية لوحة الطيف في قصائد البحترى فلقد اشرنا فيما سبق الى ان اكثر ما شغل به البحترى شعره المديح فهو جل ما في ديوانه وقد مدح طوائف مختلفة فيها الخليفة ومستشاره وفيها الوزير والكاتب والنديم والقائد وفيها غير اولئك من كبار رجال الدولة وعظماؤها وكان الشاعر مجوداً في مدح هؤلاء جميعاً ونظراً لتمسك البحترى بتقاليد القصيدة العربية الموروثة من العصر الجاهلي وابتعاده عن الصنعة والتكلف المتمثلة باغراق الشعر بفنون البديع والالفاظ الغريبة ومصطلحات الفلسفة والمنطق التي اعزم بها معاصروه فقد سار على نهج الاوائل في افتتاح اغلب قصائده بالافتتاحات المعروفة بيد ان طيف الخيال كان اكثر هذه الافتتاحات وتغلب الظن بان الشاعر قد

ادرك اثر هذا الافتتاح في نفس المتلقي من الذين خصهم بالمدح فجاء متصديراً اكثر قصائده التي مدح فيها الخلفاء والوزراء والقادة وغيرهم لان اكثر التشبيهات التي شبه بها الممدوح هي من الصفات الخلقية والتي تناسب زورة الخيال او الطيف الذي يبحث عن الزوره الشريفة فضلاً عن ان النفس الانسانية تسعد في الاستماع الى السرد القصصي وهذه الزورات عباره عن قصص قصيره تناسب الزوره السريعة التي يزورها الطيف عند نهاية الليل وما تثيره في نفس السامع من انشراح وانشداد الى الاصغاء فيكون الانتقال الى المديح قد سهل اليه الطيف والخيال تسهيلاً كبيراً^(١٩)، حتى يجعل الممدوح مشهوداً في حبات المدح واذا يطالعنا الشاعر في احدى قصائده التي مدح فيها كاتب الفتح بن خاقان ابا نوح عيسى بن ابراهيم فأفتتحها بالطيف قائلاً:

طيف الحبيب الم من عداونه

وبعيد موقع ارضه وسمائه

جزع اللوى عجلأ، ووجه مسرعأ

من حزن ابرقه الى جرعائه

يهدي السلام وفي اهتداء خياله

من بعده عجب وفي اهدائه

لوزارني غير الكرى لشقاك من

خيل الغرام ومن جوى برحائه

فدع الهوى اومت بدائل ان من

شأن المتيم ان يموت بدائه

واخ ليست العيش اخضر ناضرأ

بكريم عشرته مفضل اخائه^(٢٠)

ومن الملاحظ ان ابا عبادة في مدحة للخلفاء
لم يكن يميل للاطالة على عكس صنيعة في مدح
الوزراء والقواد كالذي نطالعه في مدحه للفتح بن
خاقان ويذكر مبارزته للامد عندما قال:
اجدك ما ينفك يسرى لـ " زينبا"

خيال اذا آب الظلام تأويا
سرى من اعالي " الشام " يجلبه الكرى
هبوب نسيم الروض تجلبه الصبا
وما زارني الا ولهت صباة

اليه، والا قلت: اهلاً ومرحباً^(٢١)

فالشاعر يسهب في ذكر الطيف الممتزج
بالغزل حيث بلغت ابيات الطيف عشرة على
الرغم من انه ذكر زينبا بدل محبوبته علوة ربما
للقافية او التصريح فمن له بالشام غير علوة ؟ او
ان غزله الذي يشعر بتعدد حبه قد يكون غزلاً
تقليدياً عمد اليه لحاجة فنية في القصيدة وقد يكون
وداً لم يصل بعد درجة حب علوة. ثم ينتقل بعد
ذلك الى المدح فمدح الفتح بصفاته الخاصة
المميزة ولم يتجه الى التهويل والمبالغات بل ذكر
الحقائق والوقائع كما هي واضفى عليها من الوان
فنه ما جعله اقوى تأثيراً في النفوس من اسراف
المبالغات فاسمع المتلقي حزيناً ناعماً تألفه الاذان
وصور الوانا لطيفة ترتاح اليها العيون. ويبقى
الطيف ملازماً للشاعر في كل الاوقات ولم
يستطع ان يتخلص من جو الذكريات التي
تزامت عليه بسبب بعده عن بلده واهله
ومحبوبته ثم فراقه لولي نعمته المتوكل بعد
مصرعه امام عينيه ويؤل الامر الى ابنه
المنتصر فلا يأمن البحري على عيشه وهو

شاعر يعيش على جود الخلفاء فعبر في شعره
عن تلك الثورة العنيفة التي ملكته فمضى مغيباً
من ولي العهد داعياً عليه هاجباً له في معرض
رثائه للمتوكل بيد انه مدحه بعد ذلك خوفاً من
كراهيته والنفور منه فأفتتح هذا المدح بالذكريات
وضمنها ابيات الطيف قائلاً:

تبسم عن واضح ذي اثر
وتتظر من فائر ذي حور

.....

الم تر للبرق كيف انبرى
وطيف البخيله كيف احتضر
خيال الم لها من " سوى "

ونحن هجود على " بطن مر "^(٢٢)
وكثيراً ما كان يعتمد البحري الى ذم الصباح
وانتهاء الليل لان ذلك ينهي الطيف الذي يجلب له
المتعة فالشاعر يتمنى طول الليل لكي تستمر
متعته بالخيال فيجزىء من ذلك قوله وهو يمدح
المعتز بالله:

اقامت على الهجران ما إن تجوز
وخالفها بالوصل طيف لها يسري
فكم في الدجى من فرحة بلقائها
ومن ترحة بالبين منها لدى الفجر
إذا الليل أعطانا من الول بلغة
تنتا تبشير النهار الى الهجر
ولم انس إسعاف الكرى بدونها

وزوزنها بعد الهدوء وما تدري^(٢٣)
فللبحري في وصف الخيال الفضل على كل
متقدم ومتأخر فقد تغلغل في اوصافه واهتدى من
معانيه الى ما لا يوجد لغيره وكان مشغولاً

بتكرار القول فيه لهجاً بابدائه واعادته.^(٢٤)

وقال عنه احد العلماء القدماء (هذا باب الفضل فيه للبحثري على ابي تمام ومازلت اسمع الشيوخ من اهل العلم بالشعر يقولون هو أشعر الناس والهجهم بذكر الخيال ولم يأت من ابي تمام فيه الا ابيات يسيره)^(٢٥) ولم يتيسر هذا للبحثري لولا صفاء قريحته واعرابيته وطبعه الذي جبل عليه مما دفع القدماء الى ايراد ثواهد من شعره في كتبهم التي الفوها كالذي نطالعه في مثل قوله:

ولوعات الهوى هن اللواتي

دعوتك للبلايل والغناء

وطيف طاف بي سحراً فأذكي

حرارة لوعتي وجوى حشائي

وفي طيف الخيال شفا المعنى

ورى الصاديات من الظماء

ولكني اشدّهم غراماً

واكثرهم أصانيف البلاء

يقول لي العذول وليس يدري

بأن اللوم من شيع الخناء^(٢٦)

واذا كان الشاعر قد مزج بين الطيف والغزل

في اغلب قصائده وهما من مقدمات الشعر

المعروفة ومن حسن مطالع القصائد ذلك ان

الشعر قفل اول مفتاحه، وان حسن الاقتتاح داعية

للاشراح^(٢٧)، فقد عمد في بعض الاحيان الى

مزج لوحتي الطيف والشيب في قصيده واحده

كالذي في قوله:

أبعد الشباب المنكى في الذوائب

أحاول لطف الود عند الكواعب

وكان بياض الرأس شخصاً مذمماً

الى كل بياضاء الحشا والتراثب

.....

إذا قلت: قضيت الصباية ردها

خيال ملم من حبيب مجانب

يجود وقد ضن الالى شغفي بهم

ويدنو وقد شطت ديار الحباب

ترينيك احلام النيام وبيننا

مفاوز يستقرغن جهد الركائب^(٢٨)

فالشاعر يجمع بين الطيف الطروب وبين

الشيب المعيب وهو في ذلك كمن يأتي

بالمتضادين من الامر في الغزل والحب ثم يدعو

نفسه ترك هذا الحب والهوى لانه معيب في

عيون الصبايا اللاعيات.

ويفتح البحثري بعض قصائده بالطلل بيد

ان الطيف لا يفارقه كما في قوله:

لا ارى بـ " العقيق " رسماً يجيب

اسكنت آية الصبا والجنوب

واقف يسأل الديار وعذل

في سؤال الديار او تائب

ولعمر الحبيب ان اقترباً

منه لو تستطيعه لقريب

طرقت والطروق، من حيث أمست

في بلاد أمست فيها، عجيب

نية غربة، وشوق مقيم

وأدع في حباله محجوب

بت ليل التمام اسهر بالوصـ

ل بطيف الخيال وهو كذوب^(٢٩)

وقد يطول بنا القول لو تتبعنا كل قصائد

البحتري التي قالها في المدح وافتتحها بالطيف
لأنها الأكثر افتتاحاً بالطيف والأكثر موضوعاً في
ديوانه. (٣٠)

هذا ما كان ما أمر المديح وعلاقته بطيف
الخيال عند البحتري، أما الموضوعات الأخرى
التي نظم فيها الشاعر فقد كانت قليلة قياساً إلى
المدح بيد أن هذه القلة لا تقلل من جودة القصائد
وحسن سبكها ولعل من أسباب هذه القلة دوافع
اجتماعية وسياسية أجبرت الشاعر على عدم
الاكتثار ففي موضوع الغزل لم يرد له في ديوانه
إلا ثلاث قطع صغيرة ومن غير المعقول أن
شاعراً محباً كالبحتري لا يكون له إلا هذه القطع
لكننا نرجح أن المقدمات الغزلية الممتزجة
بالطيف في قصائد المدح استطاع الشاعر أن
يفرغ فيها عواطفه الشخصية فقد اشبع نفسه غزلاً
بهذا الغزل الذي بدأ به المدح، أما في موضوع
العتاب فقد عرف البحتري بحلاوة العتاب وعدوه
سيداً في هذه الصناعة واستناداً للشعراء، (٣١) ففي
أحدى قصائده التي يعاتب فيها يوسف بن محمد
افتتحها بالطيف فقال:

عجباً لطيف خيالك المتعاهد

ولو صلك المتقارب المتباعد

يدنو إذا بعد المزار وينتوي

في القرب ليس أخو الهوى بمباعد

ماذا أراد ملم طيفك في الكرى

من واغل بين الحوادث شارد

ثم يقول بعد ذلك:

متحير يعذو بعزم قائم

في كل نائية وجد قاعد

من كان يحمد أو يذم زمانه

هذا، فما أنا للزمان بحامد

فقر كفقر الأنبياء وغربة

وصبابة، ليس البلاء بواحد

كفى فقد الهاء عن حم الهوى

حدث اطل من الهواء البرد

.....

يا يوسف ابن سعيد والغنى

للمعتمد العزمات غير مساعد

لو شئت لم تفسد سماعة حاتم

كرما ولم تهدم مائثر خالد (٣٢)

إن تلك الروح السانده في عتابه تعود إلى

روح الرقة التي تجعل هذا العتاب مقبولاً لدى

النفس محبباً إليها، ويمثل هذا العتاب الرقيق

وغيره نجاح البحتري في إعادة الصفاء إلى

النفوس. وقد وصف هو عتابه بقوله:

عتاب باطراف القوافي كأنه

طعان باطراف القنا المتكسر

واجلو به وجه الأخاء واجتلي

حياء كصبغ الأرجوان المعصفر (٣٣)

إن عتاب يجدد الود ويفضي إلى الصفاء

ويكشف ما غاب من الصداقة ويتجنب شرك

القطيعة والبغضاء.

ومن الموضوعات الأخرى التي قال فيها

البحتري شعراً وارتبط الطيف بها هو الفخر وقد

توافر له عاملان رئيسان هبنا له التائق وطول

الباع في الفخر أحدهما انتماءة الثابت إلى واحدة

من أعظم القبائل العربية هي طيء، وثانيهما أنه

كان أعظم شعراء عصره دون منازع (٣٤) وقد

اشتهر لة قصيدتان فرغ تماماً في كليهما
للفخر^(٣٥)، فضلاً عما نثره في تضاعيف الكثير
من قصائد ديوانه ليشيع نزعه في الفخر كالتي
يطالعنا بها وقد افتخر وهو يعاتب قوماً من اهل
بلده فافتتحها بالطيف قائلاً:

احبب الي بطيف " سعادى " الاتي
وطروقه في اعجب الاوقات
اني اهتديت لمحرمين تصوبوا
لسفوح مكة من ربى عرفات
إذ أنت شكلُ مخالفٍ وموافقٍ
والدهر فيك ممانع وموات
لولا مكائده الخطوب ونحتها
من جانبي لكنت من حاجاتي
فيئ اليك فقد تخون اسرتي

حيف الردى وتحامل النكبات^(٣٦)
ثم ينتقل الى الفخر بقومه بيد ان فخره بنفسه
نجده اقوى نفسا واعلى ايقاعاً من الفخر القبلي
وليس ذلك بغريب لان الشاعر نظم القصيدة بعد
سن الاربعين وكان على درجة مرموقة من المجد
الادبي والثراء والشاعر قد ودع الشباب واطلت
عليه اشباح الكهولة والشيخوخة وهو مكلوم
بمصرع صديقيه الاثريين المتوكل والفتح ولذلك
نجد المقدمة تتظامن وترد في ابيات خمسة خافته
النفس هائلة الموسيقى لتتسمج مع ما خطط له
الشاعر من الانتقال الى التحسر على ما حل
بقومه من الموت والنكبات وعلى ما يدور من
شرف نجد فاتهم ثم ينتقل الى الافتخار بنفسه
وتعداد مناقبه وامجاده ويرتبط الطيف ايضاً
بقصيده واحده في الهجاء صاغها البحري في

هجاء احمد بن طولون فافتتحها بالطيف قائلاً:
بعينيك احوالي وصول شهيقى
واخفاق عيني من كرى وخفوقى
على ان تهويماً اذا عارض اطيعى
سرى طارق في غير وقت طروق
سرى جائئاً للخرق يخشى ولم يكن
قليلاً باسراء وجوب خروق
فبات يعاطيني على رقبة العدى
ويخرج ريقاً من جناه بريقى
وبت اهاب المسك منه واتقى
رداع عيبر صائك وخلق
ارى كذب الاحلام صدقاً وكم صغت
الى خبر - اذناي - غير صدوقي
وما كان من حق وبطل فقد شفى
حرارة مبول وخيل مشوق
سلا نوب الايام: ما بالها ابث

تعمد الآجفوتى وعقوقي^(٣٧)
ثم ينتقل بعد ذلك الى المهجو، وليس له سوى
هذه القصيدة وقصيدة اخرى في هجاء يعقوب بن
فرج وهما قصيدتان طويلتان وما تبقى من هجائه
هو مقطوعات قصيره تزيد على الستين ومن
خلال استقراها نجد ان البحري شاعر غير
مطبوع على الهجاء الا في القليل وان الهجاء فن
لم يجده ولم يتقن اسبابه ولعل بينته التي عاش
فيها ونفسيته وراء هذا فضلاً عما بلغه البحري
من مكانه مرموقة وشهره وصوت تنقطع دونهما
انفاس المنافسين، وترفعاً عن ان يترك لاسرته
من بعده ما يسوء اليهم من هجاء الهاجين، وقد
تنبه الاقدمون وايدهم المحدثون حول قصر باع



البحري في الهجاء.^(٣٨)

ولم يقتصر ارتباط الطيف بما تقدم من موضوعات بل عمد الشاعر الى توظيفه حتى في الامور الاجتماعية الخاصة به ومن ذلك ما قاله في وصف غلام له اسمه نسيم كان وهبه له محمد بن علي القمي فباعه منه ابراهيم بن الحسن بن سهل ثم تتبعته نفسه فقال:

دعا عبرتي تجري على الجور والقصد

اظن " نسيماً " قارف الهجر من بعدي
خلا ناظري من طيفه بعد شخصه

فيا عجباً للدهر فقدأ على فقد
خليلي هل من نظرة توصلانها

الى وجنات ينتسبن الى الورد^(٣٩)

ويطول بنا المقال لو استقصينا كل ما ذكره البحري عن الطيف وولعه به فنخلص الى القول بان الشاعر من اكثر الشعراء ان لم يكن اكثرهم ذكراً للطيف وولوعاً به وغراماً بالتحدث عنه ولعل ولوعه المفرط هو بسبب بعده عن وطنه وحبه لعلوة ثم بعده عنها فهي بحلب وهو دائماً ما يشرق ويغرب فلا غرو اذا ان كانت تزوره بطيفها اذا جن الليل وعقدت اجفانه ايدي الكرى فيصبح وقد تملكه وجدان قوي وعاطفه ثائرة فينظم ماراه شعراً وتكرار ذلك الطيف هو نتيجة طبيعية لهذا الحب عن الحبيب فيقوم الطيف مقام الحقيقة وينوب تزاور الخيال مناب التزاور في العيان ولعل هذا وراء ما يعزى نبوغ البحري في الطيف والحديث عنه وان كنا لا ننفي ان الشاعر قد تغزل في الطيف غزلاً تقليدياً بحثاً خدمة لغرضه الشعري بوصفه اداة فنية بجانب

الادوات الاخرى التي يعمد الشعراء الى توظيفها في سبيل دعم تجاربهم الشعرية، ولهذا وجدنا الشاعر ومن خلال الاستقرار المتواضع لشعره انه يجيد استخدام هذه الاداة التي كانت قليلة الاستخدام عند الشعراء في عصره وفي العصور التي سبقتة فمره يعمد الى شرح الزوره والاسهاب في ذلك كذكر القدوم وصعوبة الطريق وشحط المزار والالتقاء بعد البعد والخفاء وفي احيان اخرى يقتصر في ذكره للطيف على المصطلح او الكلمة فقط من (طاف، الطيف، الخيال، وتخيلت، وزوره، الخ)، ولا يفصل في ذلك لانه فنان يدرك الجو الذي يناسب قول الشعر فلا يطيل في موقف لا تحسن فيه الاطالة ولا يختصر في موقف بحاجة الى الاطالة، ففي المدح وجدناه مسهباً في الافتتاح عندما يكون موضحاً للصفات الخلقية والخلقية وافعال الممدوح بينما يكون الطيف قصيراً عابراً اذا كان الوصف لصفات قليلة في مدح من هو بعيداً عن نفسه ولعل ما يؤيد هذا ما طالعناه للبحري في مدح الفتح بن خاقان الذي احبه البحري حبا شديداً فكان قريباً من نفسه فمدحه بقصائد كثيرة وطويلة تزيد على احدى وعشرين قصيدة كما مدح ابنه وكتبه وقد وجد الشاعر ضالته في طيف الخيال ليفتح به اكثر قصائده لما له من اثر في نفوس مستمعيه فكان بحق شاعر الطيف والخيال.

المصادر والمراجع:

- الاغانى، الاصفهاني (ابو الفرج علي بن الحسين - ت ٣٥٦ هـ)، تحقيق عبد الستار احمد فراج - دار الثقافة بيروت ١٩٦٠.
- الامالي، القالي (ابو علي اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي - ٣٥٦ هـ)، نسخه مصوره عن دار الكتب المصرية بيروت (د. ت).
- امالي المرتضى (علي بن الحسين الموسوي - ت ٤٣٦ هـ)، تح محمد ابو الفضل ابراهيم. دار احياء الكتب العربيه ط ١، القاهرة ١٩٥٤م
- امراء الشعر في العصر العباسي، اتيس المقدسي، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٧ م
- تاريخ الادب العربي، العصر العباسي الثاني، د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط ٤، ١٩٨١م.
- حياة البحري وفنه، احمد بدوي، مكتبة الانجلو المصرية، مطبعة لجنة البيان العربي، ١٩٥٥م.
- (٢) ديوان:
- امرؤ القيس، تح محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، ط ٤ مصر ١٩٨٤ م.
- البحري، تح حسن كامل الصيرفي، دار المعارف بمصر، ط ٣، ١٩٧٧ م.
- الحظينة، تح نعمان امين طه، شركة مصطفى الحلبي واولاده ط ١ ١٩٥٨ م.
- طرفة بن العبد، تح وتحليل ونقد، د. علي الجندي، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ١٩٥٨ م
- عامر بن طفيل/جمع كرم البستاني، دار صادر بيروت ١٩٧٩ م.
- عبيد الابصر، يح وشرح د. حسين تصار، مكتبة مصطفى البابي الحلبي واولاده ط ١ ١٩٥٧ م.
- عكرو بن نمينة، تح خليل ابراهيم العطية، بغداد، ١٩٧٢ م.
- قيس بن الخطيم، تح د. ناصر الدين الاسد. دار صادر، ط ٢ بيروت ١٩٦٧.
- المرقش الاكبر (اخباره وشعره) د. نوري القيسي، مجلة العرب، ج ١٠، السعودية ١٩٧٠.
- ديوان المعاني، ابو هلال العسكري ت ٣٩٥، عالم الكتب (د. ت)
- زهر الاداب، الحصري القيرواني (ابو اسحاق ابراهيم بن علي - ت ٤٥٣ هـ) تح محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط ٤ بيروت ١٩٧٢ م.
- سمط الاليء في شرح امالي القالي، البكري (عبد الله بن عبد العزيز البكري - ت ٤٨٧ هـ) تح عبد العزيز الميني، لجنة التأليف والنشر ١٩٣٦ م.
- شعر اوس بن حجر ورواته الجاهليين، د. محمود عبد الله الجادر، دار الرساله للطباعة بغداد ١٩٧٩ م.
- طوق الحمامة في الالف والالاف، ابن حزم (ت ٤٥٦ هـ) حققه وقدم له صلاح الدين الفاسي، الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨٥ م.
- طيف الخيال، الشريف المرتضى، حققه وضبط نصوصه، د. صلاح خالص مطبعة دار

المعرفة، بغداد، ١٩٥٧ م.

- العمدة في محاسن الشعر وادابه ونقده،
القيرواني (ابو علي الحسن بن رشيق ت ٤٥٦ هـ)،
حققه وعلق على حواشيه محمد محي
الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة ط٢، مصر
١٩٥٥ م.

- عيار الشعر، ابن طباطبا العلوي (ابو الحسن
محمد بن احمد بن محمد - ت ٣٢٢ هـ)،
شرح وتحقيق عباس عبد الساتر، دار الكتب
العلمية، ط١، بيروت ١٩٨٢ م.

- في الادب العباسي، محمد مهدي البصير، ط٢،
مطبعة السعدي، بغداد ١٩٥٥ م.

- المفضليات، المفضل الضبي - (ت ١٧٨ هـ)
تحقيق احمد محمد شاكر وعبد السلام هارون،
دار المعارف، ط ٥، ١٩٧٦ م.

- الموازنة، الامدي (ابو القاسم الحسن بن بشر
- ت ٣٧٠ هـ) تحقيق احمد صقر، مطابع
دار المعارف بمصر جزءان ١٩٦١-١٩٦٥ م.

الهوامش:

- ١- شعر اوس بن حجر ورواته الجاهليين/١٩٤.
- ٢- البيتان (٢،١) تصدراً افتتاح قصيدة طويله
في ديوانه/٥٥، والايات الثلاثة جاءت في
طيف الخيال/٧٦، الخيال الثانية في البيت
الاول تعني النحيل المدنق الذي صار خيلاً
من النحافة والنحول فيسمى الناحل. ينظر:
طيف الخيال/٧٥.
- ٣- طيف الخيال/٧٦.

٤- ينظر امالي المرتضى: ٥٤١/١، فطيف

الخيال يشكل المحور الرئيسي في بنية هذا
النمط من الافتتاح فضلاً عن المكونات التي
تقتصر على ذكر زمن الزياره، والايحاء
بالتعجب من حدوث وقوعها لبعده ديار الحبيب
وذلك ما اتفق عليه اغلب الشعراء تنظر:
دواوين المرقش الاكبر ٨٧٤/٢، تأبط شراً
١٠٣/٢٢، عبيد بن الابرص ٤٦/١٦ طرفه
بن العبد ٦٧/٥، الحارث بن حلزه ٢٢/٩،
اوس بن حجر ٣٣/١٦، قيس بن الخطيم
١٧٩/١٥، ٥٥/٢، عامر بن الطفيل ٤٨/١٣،
الاعشى ٢٩٢/٥٥، الحطيئة ١٤٠/٣٨، كما
تنظر المفضليات ٣٩/٦ لسلمى ابن الخرشب،
٥٥/١٠ لشامة بن عمرو. ولهذا فائنا لا نتفق
مع احد الباحثين الذي ذهب الى القول بندرة
هذا النمط من الافتتاح الا اننا نؤيده بقلقه
قياساً الى الافتتاحات الاخرى، تنظر مقدمة
العقيدة العربيّه/١٠٦.

٥- لعل أقدمها ما كتبه الشريف المرتضى، تنظر

بعض اراءه في مدح الطيف وذهمه في طيف
الخيال/٤، ٥. وينظر راي البكري في سمط
اللائي/٥٢٤، ومن المناسب ان نذكر تفسير
ابن حزم (وهذا عندي من حديث النفس
واضعافها وادخل في باب التمني وتخيل
الفكر.) ينظر: طوق الحمامة/٦٩.

٦- ان معظم ارائهم قد انحصرت في التفسير
الموضوعي. ينظر: تاريخ الشعر
العربي/٥٠٦، مجلة المجلة عدد ٩٨ لسنة
١٩٦٥/٢٢ (بحث) والعدد ١٠٤ للسنة

- نفسها/ ١٥ (بحث)، وينظر التفسير الفني لهذا الافتتاح في شعر اوس بن حجر وروائه الجاهليين/ ٢٥٨.
- ٧- ومن المناسب ان نذكر قول احد القدماء في هذا الموضوع (وكان البحري صاحب الطيف اكثر الناس ابداعاً في الخيال حتى صار لاشتهاره مثلاً يقال له خيال البحري)، زهر الاداب ١٢٠/٣.
- ٨- ينظر: الموازنة/ ٢، العصر العباسي/شوقي ضيف ٢٨٨/٤.
- ٩- ينظر الاغاني (ساسي) ١٦٧/١٨.
- ١٠- ينظر: ديوانه ١٠٤٥/٢.
- ١١- ينظر: ديوانه ١٩٤٠/٣.
- ١٢- اخبار البحري (الصولي)/ ٧٢ - ٧٤.
- ١٣- ينظر المصدر نفسه/ ٩١.
- ١٤- ينظر ديوانه: ٢٣/١، ٤٥، ٥٨، ٩٨، ١٠٨، ١٢٢، ١٤٩، ١٩٦، ٢٨٩، ٣٥٥، ٤١٥، ٤٤٠، ٤٩٨، ٥٠٧، ٥٢٧، ٥٥٠، ٥٥٦، ٥٦٩، ٦٠١، ٦٠٧، ٦١٢، ٦٢٢، ٦٧٠/٢، ٦٧٥، ٧١٧، ٧٢٤، ٧٢٨، ٧٧٧، ٨٤٩، ٨٥٧، ٨٦٠، ٨٦٧، ٨٧٧، ٩٠٦، ٩٠٩، ٩٣١، ٩٧٠، ٩٨١، ١٠٠٤، ١٠١٠، ١٠١٦، ١٠٣٣، ١٠٥٢، ١٠٥٦، ١٠٦١، ١١٣٥، ١١٦٥، ١٢٠٩، ١٢١٧، ١٢٣٨، ١٢٥٧، ١٢٦٨، ١٣٠٢، ١٣٥٩، ١٣٥١/٣، ١٣٦٣، ١٣٧٣، ١٣٨١، ١٤١٩، ١٤٥٧، ١٤٦١، ١٤٦٧، ١٤٧٥، ١٤٩٧، ١٥٠٤، ١٥٠٩، ١٥٣٠، ١٥٣٧، ١٦٠٧، ١٦١٩، ١٦٢٦، ١٦٣٥.
- ١٥- م - ن - ٣٦٣/١.
- ١٦- م - ن - ٥٠٧/١ - ٥٠٨.
- ١٧- م - ن - ٥٢٨.
- ١٨- ينظر الامالي (القالبي) ٢٢٦/١ ن وتنظر بعض اراء الاقدمين في التثبيبات/ ٧٨، امالي المرتضى ٥٤١/١ طيفالخيال/ ٤ - ٥، زهر الاداب/ ٧٠١.
- ١٩- ونحن لا نتفق مع بعض القدماء الذين ذهبوا الى ان البحري قليل القدرة على التخلص الحسن من التشبيب الى المدح. ينظر: الوساطة/ ٤٨ والمثل السائر/ ٤٢٠ ذلك انه شاعر مطبوع قليل الصنعة والتكلف فضلاً عن غزله المتصل بوصف الطيف كان صادراً عن تجربة صادقة ومعانة حقيقية.
- ٢٠- ديوانه ٢٣/١ - ٢٤.
- ٢١- م - ن - ١٩٦/١.
- ٢٢- م - ن - ٨٤٨/٢ - ٨٤٩، سوى: منصف وسط بين دار قيس وبين دار سعد، بطن مر (بفتح الميم): من نواحي مكة.
- ٢٣- ديوانه ١٠٠٤/٢ وينظر مثل ذلك في



٢٤٠١، ٢٣٥٥، ٢٢٦٧، ٢٢٤٧، ٢٢٣٨

٢٤٣١

٣١- ينظر العمدة ١٦٠/٢

٣٢- ديوانه ٥٠٧/١ - ٥٠٨ وينظر مثل ذلك

في ديوانه ٣٤٤/٢، ٢٢٤٧/٤

٣٣- ديوانه ٨٩٠/٢

٣٤- اخبار البحري (الصولي) ٧٢، ٧٣

٣٥- ينظر: ديوانه ٥٩٠/١، ٧٤٠/٢

٣٦- ديوانه ٣٦٣/١

٣٧- ديوانه ١٥٢٥/٣ - ١٥٢٦

٣٨- ينظر: امراء الشعر العربي/٢٤٨، حياة

البحري ومنه/١٩٧، في الادب العباسي

(البصير)/٢٦٢

٣٩- ديوانه ٥٢٨/١

(٢) وضعنا الدواوين تحت كلمة ديوان بغض

النظر عما يتصدر الديوان من كلمة شرح او

شعر او ما شابه ذلك.

٢٠٠٠/٣، ٢٠٨٧/٤ وطيف الخيال/٣٧

٢٤- ينظر امالي المرتضى ٥٤١/١ - ٥٤٢

٢٥- الموازنة ١٣٤/٢

٢٦- ديوانه ٤٦/١

٢٧- ينظر: العمدة ٢١٨/١، ٢٢٢

٢٨- ديوانه ١٠٨/١ - ١٠٩، وينظر ٩٨/١

٩٩

٢٩- م - ن ٣٥٥/١، العقيق: كل مسيل ماء

شق له ليل في الارض فانهره ووسعه.

٣٠- ينظر ديوانه: ٢٣/١، ٤٥، ٥٨، ٩٨

١٠٨، ١٢٢، ١٤٩، ١٩٦، ٢٨٩، ٣٥٥

٤١٥، ٤٤٠، ٤٩٨، ٥٠٧، ٥٢٧، ٥٥٠

٥٥٦، ٥٦٩، ٥٩٦، ٦٠١، ٦٠٧، ٦١٢

٦٢٢، ٦٧٠/٢، ٦٧٥، ٧١٧، ٧٢٤

٧٢٨، ٧٧٧، ٨٤٩، ٨٥٧، ٨٦٠، ٨٦٧

٨٧٧، ٩٠٦، ٩٠٩، ٩٣١، ٩٧٠، ٩٨١

١٠٠٤، ١٠١٠، ١٠١٦، ١٠٣٣، ١٠٥٢

١٠٥٦، ١٠٦١، ١١٣٥، ١١٦٥، ١٢٠٩

١٢١٧، ١٢٣٨، ١٢٥٧، ١٢٦٨، ١٣٠٢

١٣٥٩، ١٣٦٣، ١٣٧٣

١٤١٩، ١٤٥٧، ١٤٦١، ١٤٦٧

١٤٧٥، ١٤٩٧، ١٥٠٤، ١٥٠٩، ١٥٣٠

١٥٣٧، ١٦٠٧، ١٦١٩، ١٦٢٦، ١٦٣٥

١٦٥١، ١٦٨٧، ١٦٩٨، ١٧٠٤، ١٧١١

١٧٣٧، ١٧٨٢، ١٧٨٤، ١٧٩٣، ١٨٠٦

١٨٢٤، ١٨٢٧، ١٨٣٠، ١٨٣٨، ١٩٢٣

١٩٢٨، ١٩٣٦، ١٩٥٤، ١٩٧٨، ١٩٨٤

٢٠٠٠، ٢٠٠٥، ٢٠٦٦/٤، ٢٠٧١، ٢٠٨٧

٢١٢٢، ٢١٤٣، ٢١٤٩، ٢١٧١، ٢٢٠٠